ولم أعد أسمع بعد لغتك ، لغة الاسرار
أجيبي يا كواكب السماء ، فانني حزين !

وهذه الحالة من الصراع الذي تعلوه نغمة الرفض للتراث اليهودي والتي تعبر عن التحلل الروحي اليهودي يعبر عنها بياليك بصورة رمزية من خلال خلفية الثورة الروسية عام ١٩٠٥ في قصيدته الكبيرة « سفر النيران » :

« ... وفتحت عيني على سعتهما محدقا في السماء ، ورفعت رأسي وأنا منحدر هابط الى النهر ، وفجأة اذا بصوت ماء وضجة واستحمام يتناهى الي كأنه تيار بلور ويرن في اذني كرنين قيثارة . ونظرت فذهلت : هنالك في الجدول قبالتي رأيت شبح فتاة تستحم يلمع صفاء بشرتها فأراه من خلال العتمة فيسكرني ... وكدت اندفع اليها اندفاع النمر ، لكن صورة الشيخ القديس لمعت امامي — فخنقت شهوتي وأنا أزأر كالليث ثم اختفيت وراء صخرة ورحت اتلصص من مكاني على الجسد الرائع ، أكلت بعيني لحم الفتاة العاري الابيض وحملقت نفسي في ترجرج نهديها البكرين ، وضممت قبضتي وألقيتها في الهواء لا اعرف في وجه من : في وجه السماء التي تبلوني أم في وجه الشيطان الذي يتحداني — واذا بقبضتي تقع على نتوء الصخرة كأنها المطرقة فتفتتها بينما راحت قدماي تطحن احجار الحصى ... ولما فارقني سكري احاطني ظلام رهيب فخفت من نفسي خوفا شديدا . فزعت من الفراغ ومن كفة المقلاع ، وشاهدت نفسي فاذا بها سوداء بيضاء معا ، وقد اختلط فيها النور بالظلام . ورأيت قلبي فاذا هو حجر لافعوان وعش لنسر ... »

وهنا نجد بياليك يرمز للهسكلاه وللانفتاح على عالم الثقافة الاوسع الارحب الذي أطل عليه من عتمة الحياة الدينية المتعصبة بالفتاة العارية ، ويحاول ان يبين مدى الصراع الذي اجتاحه حينما حاول الاقتراب منها ، وتحديه للشيخ القديس الذي يرمز به لقيم الدين المتحجرة متمثلا اياه في صورة جده العجوز التقي الورع الذي طالما شدد عليه في هذه الناحية . (ويمكننا القول ان دولة اسرائيل هي الشيخ القديس محاولا السير مثل الفتاة العارية ، او الفتاة ذات النهدين البكرين تحاول التحدث بنبرات الشيخ القديس . أليست هي دولة الانبياء المحاربين والقديسين الذين يلبسون الكاكي ؟)

ان عالم بياليك يظل عالما مغلقا بالنسبة لنا لان الشاعر لا يوجه الدعوة لنا كبشر للتعاطف معه وأحزانه ، فثنائية الرؤية اليهودية والصهيونية الحادة تصدنا وتمنعنا ولذا تظل الرموز والطلاسم مجرد اشارات لافكار مجردة ، ليس لها معنى أو عمق انساني، وكذلك تظل الصراعات الحادة بين القديم والجديد ، بين العلماني والغيبي ، بين الدين والقومية، صراعات غريبة علينا لانها تدور في صدر شاعر فصل نفسه عن بقية البشر . ومن الملاحظ ان الشاعر عالم كل العلم بأن الصراعات التي يواجهها لا يمكن حسمها لانه غارق في الاساطير اليهودية التي يعرف انها ماتت ولكنه لا يملك ان يعلن موتها بل انه يتحسر من أجلها ويبكي ويدافع عنها بعدوانية وشراسة . ولعل هذه الشراسة في الدفاع تفسر استخدامه لصور النار والنفير والعناكب والافاعي وهي صور تدل على ان الشاعر يفكر في الموت أكثر من تفكيره في الحياة ، أو يفكر في حياة مبنية على رؤية صميمها الموت .